مقدمة :

لا يمكن أن أنكر أن ولعي الأول هو قراءة الأدب ، وكتابة الرواية والقصة ... هذه هي صناعتي الأولى ، وهدفي الذي يقوى ويتوغل مع سنوات عمري ... ودائماً يكون لديَّ موضوعات لمثل هذه الكتابات ، بل أستطيع أن أقول إن الموضوعات تطاردني ... تبرق في مخيلتي كلمعة النور، ولا تتركني إلا وأنا أخط بعض الكلمات حتى لا تضيع الفكرة مني ...

بصدق شديد حاولت كعادتي التي خلقتُ بها أن أكتب الرواية ، أو حتى القصة القصيرة ... ولأول مرة في حياتي تتوه الخيوط ، وتتشعب ، وأنتقل من فكرة إلى أخرى ... قبل أن أنتهي من سبر غور الفكرة الأولى ، بمعنى أنني أنتقل بسرعة من حالة درامية محددة إلى حالة درامية أخرى ... ولم يكن هناك بد من أن أواجه نفسي ؛ لأعرف سبب هذه الحالة الجديدة عليَّ ... وكان أن عرفت بأنه بسبب المناخ العام لوطني ، وما فيه من عيوب ونقائص من حولي ...

فمن هول مشكلة القمامة التي تكاد تغرقنا ، إلى ضراوة وتعقد وتفاقم مشكلة المرور ، وذلك السجن الكبير المفتوح الذي نتراص فيه بالعربات لما يزيد عن الساعة كلما أردنا السير من مكان إلى آخر !!! إلى مشكلة انقطاع الكهرباء ، وما تكبدناه جميعاً من خسارات تلو الخسارات في الوقت والمال والإنجاز لأيٍّ من المشاريع أو الأفكار ، وحتى في العلاقات مع الأصدقاء والأقارب !!!

أضف إلى هذا تشعب البيروقراطية في كل نواحي حياتنا ، فلا يمكن أن تخرج لتؤدي أي مصلحة إلا وتعود بخفي حنين لم تنجز شيئاً !!!

مشاكل أولادنا في التعليم ، الذي نراه تعليماً عفا عليه الزمان ، يعتمد على التلقين والصمّ ، وليس التفكير !!!

والأهم من هذا كله عدم تحقيق الدولة لقانون التأمين الصحي الشامل للمواطن المصري بكل فئاته ... والأدهى أن تطالعنا الصحف القومية بالذات بأن المسئول عن تحقيق وتفعيل مشروع التأمين الصحي على المصريين يعلن أنه يحتاج إلى سبع سنوات حتى يتحقق ويفُعّل القانون !!! يا الله ، ويا للعجب !!!

أضف إلى هذا الجديد المتلاحق في أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة ... فنرى ونسمع المتربص والانتهازي والمخرب والخائن ... وإذا كانت الرواية نوعاً من التفريغ العاطفي ، وهذا شق داخل النفس ، إلا إنه يتحتم معه أن يكون الشق الآخر من النفس هادئاً إلى حد ما ، ومن هذا الواقع يمكن نسج خيوط الرواية ... ولكن الواقع أن المرء لا يعيش شقاً ، ولكنه يعيش شقوقاً متعددة أغلبها يسبب الألم ، واليأس الذي نجاهد لنزيحه بكل ما أوتينا من مقدرة ... إحساس أسود صنعه الجو العام ... نعايش فيه هول إدخال السلاح ، وهول استعمال السلاح بأيدي مَن غشنا من زمن 1948 ، ندافع عن قضيتهم ، ويستشهد أبناؤنا لأجلهم عن طيب خاطر !!!

فهكذا استبدلت كتابة الرواية بالرغبة في كتابة ما اعتبرته ظلالاً أو بقعاً أو غيوماً على عقلنا المصري ، وهو ما أصبحنا معه بتلك الصورة الناقصة والمشوهة التي نراها ونسمعها ونقرأها كل يوم وكل ساعة .

غيوم على العقل المصري ... ملاحظات أحسستها ، بل وعشتها فكتبتها بلغة بسيطة ومباشرة ، فلا مجال هنا للأدب ، ونحت اللفظ كما يقولون ، كتبت ما لمسته ، وتمنيت أن يتخلص ابني وأخي وأصدقائي المصريون من هذه الغيوم .

وببساطة أيضاً لأن المصري صاحب أقدم حضارة على وجه الأرض ، وأول مَن عرف التوحيد ... وعرف انتقال الروح ، وعرف الجنة ، والخلود، وكذلك العذاب ... وعرف كل هذا قبل أن تتنزل به الكتب السماوية .

المصري فينا أنقى من قشدة الحليب – كما يقولون – إلا إن هناك مَن أخذ حفنة تراب ، ورماها على وجه الحليب ، فصارت القشدة لا تؤكل .

هي ملاحظات بسيطة ... لا أدَّعي فيها الحكمة أو العقل ، ولكنها باختصار ملاحظات من القلب الذي أضناه حب مصر والمصريين .

جيلان حمزة

openkandil.com